

حسن الدعابة

فيما ورد في الخط وادوات الكتابة

لجامعه

محمد طاهر الكردي المكي الخطاط



الطبعة الأولى

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م / ٧٩٨



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فمما لامراء فيه أن الخط من أجمل الفنون ، ورقيه دليل على تقدم الأمم ، ومالها من التمدن والحضارة ، ولما لم أجد فيه رسالة مستقلة جامعة لأدبياته أحببت أن أجمع فى هذه الرسالة اللطيفة ماتفرق فى الكتب عما ورد فيه وفى أدواته من الأدبيات المستحسنة التى قيلت فى ذلك قديما وحديثا .

ولقد كان مرادى أن أضيف هذه الأدبيات إلى كتابى (تاريخ الخط العربى وآدابه) الذى سيطبع ان شاء الله تعالى قريبا ، ولكن لكثرتها رأيت أن أفردها فى رسالة مستقلة تكون فى متناول كل أحد ، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، ويكلل أعمالنا بالنجاح آمين .

جامع هذه الرسالة

محمد طاهر الكردى المكى الخطاط

بالحجاز

تحريرا فى محرم سنة ١٣٥٦ هـ

ما جاء فى الخط والكتابة

يعد الخط فى مقدمة الفنون الجميلة . ومن أدق العلوم الهندسية ، ولقد كان المتقدمون به وبأدواته اعتناء زائداً، فقد روى أن أبا محمد الفياض كاتب سيف الدولة كان يعجن مداده بالمسك، ويليق دواته بماء الورد .

وروى عن بعضهم أنه قال : عطروا دفاتر آدابكم بجيد الحبر فان الأدب غوان والحبر غوال .

وكان بعض الكتاب يطيب دواته بأطيب ماعنده من الطيب، فسئل عن ذلك ؟ فقال: لأنى أكتب بها اسم الله تعالى، واسم رسوله صلى الله عليه وسلم، واسم أمير المؤمنين، وربما سبق القلم بغير ارادتنا فنلحسه بألسنتنا .

ولقد كان عمر بن الحسين المعروف بغلام بن حرنقة يملك من آلات الكتابة مالا يملكه غيره ، وقد بيعت هذه الآلات فى تركته لمامات فبلغت قيمتها سبعمائة دينار امامية .

ونحن نذكر هنا ماجاء فى مدح الخط ووصفه نثراً فنقول :

جاء فى كتاب نسيم الصبا لابن حبيب الحلبى مانصه :

الكتابة - ألهمك الله تعالى معرفة فضلها، ولا أحرمك نفع صداقة أهلها - أشرف الوظائف والمناصب، وأرفع المنازل والمراتب، وأفلح صناعة وأربح بضاعة، قطب دائرة الآداب، وصدر أسرار الألباب ، ورسول صادق، ولسان بالحق ناطق، وسيف تحد بحده المعارف، وميزان يميز التالد من الطارف تلحق خبر الحاضر بالغائب ، واليها تنتهى الآمال والرغائب ، بها تتم النعمة وتفصل شذور الحكمة، وتبرز إبريز البلاغة، وتصوغ لجيد الكلام أحسن صياغة، لطف

حواشى (رقاعها) محقق، وجدولها المسلسل على الريحان يتدفق، قد تحلت بصحة الوضع والتركيب، وحلت بما حكت من أعضاء الحبيب (فالألف واللام) كعذاره وقده (والجيم) كصدغه المعقرب على خده (والصاد والنون) كعينه وحاجبه (والميم) فمه النائى عن رائد ورده بجانبه:

لا تعد عن فن الكتابة انها ‏ مغنى الغنى ومفاتح الأرزاق
واخش اليراعة وارجها فهى التى ‏ عرفت بنفث السم والدرياق

(والكتاب) عماد الملك وأركانه، وعيونه المبصرة وأعوانه. وبهاء الدول ونظامها، ورءوس الرياسة وقوامها. ملابسهم فاخرة، ومحاسنهم باهرة وشمائلهم لطيفة، ونفوسهم شريفة، مدار الحل والعقد عليهم، ومرجع التصرف والتدبير اليهم، بهم تحل العواطل، وتبتسم ثغور المعاقل، مجالسهم بالفضائل معمورة، وبندائهم أندية القصاد مغموره. يهدون إلى الأسماع (أنواع البديع) ويزهون الأحداق فى حدائق (التوشيح والتوشيع) هم أهل (البراعة) واللسن، وشيمتهم (لف) القبيح ونشر الحسن، يميلون إلى القول بموجب المدح، ولا يملون من مراجعة الراغبين فى المنح، دأبهم (استخدام) الناس بالمعروف، وعدم التورية عن العانى والملهوف، يجلون الكبير، ويبجلون الصغير، ولا يخلون (بمراعاة النظير) لهم إلى الخير (رجوع والتفات) وبالجملة فقد حازوا جميع جميل الصفات:

كتبت فلولا أن هذا محلل ‏ وذاك حرام قست خطك بالسحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة ‏ وإن كان درا فهو من لجة البحر

(بأيديهم أقلام)، تختلس بلطفها الأحلام،. صافية الجواهر، زاهية الأزهار، لينة الأعطاف، ناعمة الأطراف، تبكى وهى مبتسمة، وتسكت وهى بما يطرب السمع متكلمة، قد اعتدلت قدودها، وأشرقت فى سماء البراعة سعودها، أسنتها مرهفة، ومطارفها مفوفة، تجتهد فى خدمة البارى، وتبدى من دررها عما يفضح الدرارى، تميس فى وشى أبرادها، وتشرح الصدور

بعذوبة ايرادها ، نشأت على شطوط الأنهار ، وتعلمت اللحن من إعراب الأطيار ، طويلة الأنابيب ، تسلب القلوب بحسن الأساليب ، تدهش الناظر ، وتخجل العامل ، ولا ترضى بامتطاء غير الأنامل ، الشجاعة كامنة فى مهجتها ، والفصاحة جارية على لهجتها ، تبهر بالنضارة نواظر البهار ، وتطرز بالليل أردية النهار ، ان قالت لم تترك مقالا لقائل ، وان صالت رجعت السيوف مستترة بأذيال الحمائل سجدت للطرس فرفعت إلى أعلى الرتب ، وحات وشيبت فلاغرو إذا سميت بالقصب :

قلم يفل الجيش وهو عرمرم   والبيض ماسلت من الأغماد

وهبت لها الآجام حين نشا بها   كرم السيول وصولة الآساد

يكرع من دواة حالكة الحياض ، مشرقة الأدواح والرياض ، جنية الأثمار ، مطعمة الأشجار ، ريقها رائق ، ونيل نيلها دافق ، تكشف غطاءها عن كل معنى أنيق ، وتفتح فاها بكسر العدو وجبر الصديق ، شرفها ليس فيه نزاع ، وسقطها من أنفس المتاع ، تحنو على أولادها طول المدى ، ثم تقط رءوسهن ولا ذنب لهن بحد المدى ، سمت إلى المعالى بنفسها ، وأعارت المسك السحيق بنقسها[1] ، ترشد بنور جمالها ، وتنشد بلسان حالها :

إن السعادة حيث كنت مقيمة   والبحر أخبار الندى عنى روى

كم من عليل مقاصد أبرأته   فأنا الدواة حقيقة وأنا الدوا

لله (أطراسها) التى أضاءت بمدادها ، وأشبهت عيون العين ببياضها وسوادها ، وانطوت المحاسن تحت رق منشورها ، وصدحت حمائم البلاغة على أغصان سطورها ، صحائف تنوب عن الصفائح ، وقراطيس تزف إلى الأسماع عرائس القرائح ، ألبسها الحبر أثوابا من الحبر ، ودبجها صواب الفكر ، لاصوب المطر ، كم حازت من در منظوم ، وعلم لفظ بوشى المعانى مرقوم ، وفقر تفتقر اليها أجياد الحسان ، وغرر كلم تذهب العقول بسحرها وان من البيان :

(١) النقس : الحبر .

كتاب فى سرائره سرور　　مناجيه من الأحزان ناجى
كراح فى زجاج بل كروح　　سرت فى جسم معتدل المزاج

فاجتهد أعزك الله فى طلابها، واحرص على الدخول فى زمرة أربابها وتمسك بأذيال بنيها تجد جوادا أو نبيلا أو نبيها، فحسبهم شرفا أن الله تعالى نوه بذكرهم فى العالمين، ووصف الكتبة بالحفظة والكرام فقال (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين) اه.

قال القيروانى فى وصف الخط

سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ قال: إذا اعتدلت حروفه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوده، وتفتحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون قصوره، وإلى العقول مثمره، وقدرت فصوله، وأدمجت أصوله، وتناسب دقيقه وجليله، وخرج من نمط الوراقين، وأبعد عن تصنع المحبرين، وقام لصاحبه مقام النشبه والحلية، كان حينئذ كما قال صاحب هذا الوصف فى الخط:

إذا ما تجلل قرطاسه　　وساوره القلم الأرقش
تضمن من خطه حلة　　كنقش الدنانير بل أنقش
حروف تكون لعين الكليـــل نشاطا ويقرؤها الأخفش

وتخاير غلامان فى بعض الدواوين فقاما الى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما فكره أن يفضل أحدهما على الآخر فقال لأحدهما: أما أنت خطك فوشى محبوك، وقال للآخر: أما خطك أنت فذهب مسبوك، تكافيتما فى غاية، وتوافيتما فى نهاية.

ووصف أحمد بن أبى صالح بن بشير جارية كاتبة فقال: كأن خطها

أشكال صورتها ، وكأن مدادها سواد شعرها ، وكأن قرطاسها أديم وجهها وكأن قلمها بعض أناملها ، وكأن بنانها سحر مقلتها ، وكأن سكينها غنج جفنها ، وكأن نقطها قلب عاشقها .

وقالت العرب : الخط أحد اللسانين ، وحسنه إحدى الفصاحتين .

وقال عبد الحميد الكاتب : البيان فى اللسان ، والخط فى البنان .

وقال ابن المقفع : اللسان مقصور على القريب والحاضر ، والقلم على الشاهد والغائب ، وهو للغابر والداثر .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لسان اليد .

وقال جعفر بن يحيى : الخط سمت الحكاية ، وبه تفصل شذورها وينتظم منثورها .

وقال النظام : الخط أصل الروح له جسدانية فى سائر الأحوال .

وقال ابراهيم بن محمد الشيبانى : الخط لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحي الفكر ، وسلاح المعرفة ، وأنس الاخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد المسافة ، ومستودع السر ، وديوان الأمور .

وقال أبو العباس المبرد : رداءة الخط زمانة الأدب .

وقال جامع هذه الرسالة : الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة ، وأنشد بعضهم :

جزعت من قبح خطى ففيه وضعى وحطى
رجعت من بعد حذقى إلى تعلم خطى

ولبعضهم فى الخط :

صورة الخط فى الأبصار سواد ، وفى البصائر بياض ، محاسن فيها من ألفات ألفت المهمزات غصونها حمائم ، ومن لامات بعدها لحسدها المحب على عناق قدودها النواعم ، ومن صادات نفقت علة القلوب الصواد والعيون الحوائم ، ومن واوات ذكرت مافى وجنتى الأصداغ من المعطفات ، ومن ميمات

دنت الأفواه بين ثغرها لتنال جنى الرشفات، ومن سينات كأنها الثنايا فى تلك الثغور، ومن دالات دالات على الطاعة بانحناء الظهور، ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التى تخفق لروعات الاستحسان كالطيور.

ولبعضهم :

فوالله ما أدرى أزهر جميله | بطرسك أم در يلوح على سحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة | وإن كان درا فهو من لجة البحر

ولنجيب بك هواوينى الخطاط :

ألا إن حسن الخط ألطف حلية | يباهى به الأعراب والترك والعجم
ورب مقال صيغ من معدن النهى | فضاع لسقم الشكل ما ضاء وابتسم
ورب مقال أجمل الخط شكله | فطالعه مهما استفاد بلا سأم
ورب مقال عابس فى نظامه | إذا رامه التصوير أشرق وابتسم
وكم من لآلى شاب زاهى نورها | قصور عن الاتقان فى خط من نظم
وهل تستوى حسناء رث رداؤها | وحسناء تزهى بالضوافى فى النعم
وكم مدرك للخط أدرك سؤله | على عزة المطلوب أو أمن من النقم
وما جلة الكتاب إلا خطوطهم | تعز بها قدراً وتغلى لها شيم

وما أبدع قول ابن الساعاتى :

والكل فى سلك الغصون كلؤلؤ | رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفه | والريح يكتب والغمام ينقط

ولبعضهم :

يابدر تم نوره باهر | منزله فى القلب والطرف
صدغك حرف النون فى مشقه | من يعبد الله على حرف

ولبعضهم :

كفى قلم الكتاب فخراً ورفعة   مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

ولبعضهم :

طرس خد خطت عليه سطور   ما ألمت بها يدا خطاط

ولبعضهم :

خط قاضى العشق فى رق له   أننى عبد باثبات الخطوط

ولبعضهم :

أرونى مرشداً فى الخط مثلى   ومن أحيا الكتابة فى البلاد
فلا فى الشرق لى ضد يضاهى   ولا فى الغرب من يتبع اجتهادى

ولبعضهم :

ولى فرس تجرى بميدان فضة   تجرر أذيالا كلون الخنابس
فيركبها يوم العريك ثلاثة   محجلة تمشى كمشى العرايس

ولبعضهم :

وقد أبدعت خطالم تنله   سراة بنى الفرات ولا ابن مقله
فان كانت خطوط الناس عينا   فخطى فى عيون الخط مقله

وقال عبد الله سلامة الادكاوى المصرى لما كان بمجلس وفيه أعيان الكتاب من الخطاطين :

انظر لمجلس ذا الكتاب تلقهم   مثل النجوم التى يسرى بها السارى
قدأحرزوا قصب الأرقام واقتطفوا   جنى حروف لقد زينت بأسفار
ما منهم من يرى يوما يراعته   إلا وقيل له ما أحكم البارى

ماجاء فى ادوات الكتابة

وقال أبو الفتح كشاجم :

حسبي من اللهو وآلات الطرب ... ومن عتاد وثراء ونسب
ومن مدام ومثان تصطحب ... وهمة طماحة إلى الرتب
مجالس مصونة من الريب ... معمورة من كل علم وأدب
تكاد من حر الحديث تلتهب ... شعراً وأخباراً ونحواً يقتضب
ولغة تجمع ألفاظ العرب ... وفقراً كالوعد فى قلب المحب
أو كتأنى الرزق من غير طلب ... أجل وحسبي من ذوى تنتخب
محليات بلجين وذهب ... محبرة يزهى بها الحبر الألب
مثقوبة آذانها وفى الثقب ... مثل شفوف الجرد البيض العرب
تطمن فطراً فيه للكتب عشب ... أسود يجرى بجنان كالشهب
لا تنضب الحكمة إلا ان نضب ... نيطت إلى يسرى يدى بسبب
كالقرط فى الجيد تدلى فاضطرب ... تصحبها والاخوان تصطحب
كأنه يودع نبلا من قصب ... لم يعلها ريش ولم تحمل عقب
لاتضحك الاوراق حتى تنتحب ... ترمى بها يمناى أعراض الكتب
رميا متى أقصد به الصحى أصب ... ومدية كالعضب مامس العصب
غضبي على الأقلام من غير سبب ... تسطو بها فى كل حين ونشب
وإنما يرضيك فى ذاك العضب ... مثلك الآى والآى تحب
والظرف فى الآلات مما يستحب ... لاسيما ما كان منها للأدب

تعريف القلم

يقال هو القلم والمزبر والمذبر أى بالزاى والذال وكل عود يقطع ويحز رأسه ويعلم بعلامة فهو قلم ، ولذلك قيل للسهام أقلام يقال لياطة الشحمة ولظاهرة اللثط والليط اللون ، ويقال للقصب اليراع والآباء ، ويقال للقطن الذى يوجد فى جوف القصبة البيلم والقيصف والقيع ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان والشعيرتان واحدهما سن وشعيرة ، فاذا قطع طرفه بعد البرى وهيء للكتابة قيل قطته أقط قطا وأقضمه قضما ، والمقط مايقط عليه، قال المقفع الكندى يصف القلم :

يحفى فيقضم من شعيرة رأسه   كقلامـــة الاظفور فى تقلامه

ماجاء فى وصف القلم نثرا

وقيل : ما أعجب شأن القلم يشرب ظلمة ويلتقط نوراً .

وقال عبدالحميد : القلم شجرة وثمرتها الالفاظ؛ والفكر بحر لؤلؤه الحكم

وقال جالينوس : القلم طبيب المنطق .

وقال أرطاطيس : القلم العلة الفاعلة ؛ والمداد العلة الهيولانية ؛ والخط العلة الصورية ؛ والبلاغة العلة السامية .

وقال ابن المقفع : القلم بريد القلب يخبر بالخبر وينظر بلا نظر .

وقال الاسكندر : لولا القلم ماقامت الدنيا ولا استقامت المملكة .

ومن كلمات ملك انجلترا جورج الخامس : يقتل الكاتب بقلمه ما لايستطيعه ألف رجل متفيره .

ومن كلمات رئيس جمهورية الولايات المتحدة روزفلت : أخاف من نفسى لأنى من حملة الأقلام .

ومن كلام امبراطور النمسا : إذا اندلعت الثورة فى البلاد ففتشوا عن الكاتب الذى أحزم برأس قلمه نارها .

وقال فى القلم عبد الله بن المعتز : القلم يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة، يسكت واقفا وينطق سا كنا، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضىء .

وقال العتابى : ببكاء القلم تبتسم الكتب .

وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ماعبرات الغوانى فى خدودهن بأحسن من عبرات القلم فى خدود الكتب .

وقالوا : القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للغيوب ، بسرائر القلوب على لغات مختلفة، من معان معقولة، بحروف معلومة متباينات الصور، مختلفات الجهات، لقاحها التفكير، ونتاجها التدبير، تخرس منفردات، وتنطق مزدوجات بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن محدودة، ولا حركات ظاهرة، خلا قلم حرف باريه قط ليعلق الدواية وأرهف جانبه ليرد من انتشر عنه إليه، وشق رأسه ليحتبس المداد عليه، فهنالك استمد القلم بشقه، ونثر فى القرطاس بخطه، حروفا أحكمها التفكر وأدلى إلى الاستمتاع بها الكلام الذى سداه العقل ولحمته اللسان، وتشهيه للهوات ، وقطعه الاسنان ولفظه الشفاه ، ودق الاسماع من أنحاء شتى من صفات وأسماء .

وقال مسلم بن الوليد : من عجائب الله تعالى فى خلقه ، ونعمائه عليهم من فضل تعليمه إياهم الكتاب المفيد للباقين حكم الماضين ، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب، على لغات متفرقة، فى معان معقولة، بحروف مؤلفة من ألف

وباء وجيم ودال، متباينات الصور، مختلفات الجهات، لقاحها التفكير، ونتاجها التأليف، تخرس منفردة، وتنطق مزدوجة، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن محدودة، ولا حركات ظاهرة. ثم قال ماخلا قلم حرف باريه قطته ليعلق المداد به وأرهف جانبه ليرد من انتشر عنه أليه، وشق رأسه ليحتبس الاستمداد عليه وأرفع من شفتيه ليجمعا حواش تصويره، فهناك اشتد القلم برشـــقه وقذف المادة إلى صدره، ثم مجه من شقه بمقدار ما احتملت شفتاه بتخطيط أجزاء النقط التى أراد بها الخطوط، فالأبصار لها سامية، فاذا أكلتها الألسن فالآذان لها واعية اه.

وكتب أبو إسحاق ابراهيم بن عبد الله البحترى فى القلم إلى ابن عمران ابن أبى رباح: أنه لما كان القلم مطية الفكر والبيان، ومخرج الضمير إلى العيان، ومستنبطا بأنواره ظلم الجنان، إلى نور البيان، ومريح الفطن العوازب، وجالب الفكر الغائب، ومفرق الجلائب، وعماد اللام، وزناد الحرب، ويد الحدثان، وخليفة اللسان، ورأس الأدوات التى خص الله بها الانسان وشرفه بها على سائر الحيوان، ومركب الآلة تقدمت كل آلة، وحكمة سبقت فى الانسان كل حكمة وقياما لهندسة عقلية، ومصدرا لعقل العاقل. وجهل الجاهل الناقل إلينا حكم الأولين، وحامل عنا إلى الآخرين الحافظ علينا أمر الدنيا والدين، أول شىء خلقه الله وأمره، فسبحه، وقدسه، ومجده، وحمده، وسجد له فكان من فرسان خيولهم، وكنت عميدهم، وأقران نصر عليهم وأنت صنديدهم، وميدان كنت زينه، ومضمور كنت عينه. وحلية كنت سابقها ومعجزها، وغاية كنت مالكها ومحرزها، ورمت بى الأيام إلى معدنه التى كلفت به وعينت بطلابه فانفردت منه بقدح.

فرد فى منبته قد ساعدت عليه السعود فى فلك البروج حولا كاملا مؤلفة أركانها وطباعها، ومتباين ألوانها وانماؤها، ومؤيدة بقواها وجواهرها حتى غذته عرفا فى الثرى معرفا، وأرضعته ناجحا، وسنته مكعبا، وأروته مقصبا

وأطمأنه مكتهلا ، ولوحته مستحضراً ، وجللته بهاؤها، وألفت عليه عنوانها، وأودعته أعراقها وأوراقها وأخلاقها، حتى حسن بازله ورقت شمائله، وابتسم من غشائه ، ونادى من لحائه ، وتعرى عن حر المصيف ، بانقضاء الخريف، وانكشف عن لون البيض المكنون، والصدف المخزون، ودرر البحار وفئات الجار، ترى منه نقوط العاج، وبيض الديباج، وقميص الدرر بطراز النساج، فأجمعت له زينة الأيدى البشرية ، إلى العلوية والأنساب الأرضية ، إلى الانساب السماوية، فلما قادته السعادة التي أرته النسج وجده فى الاقلام راتب أولى الناس به لينسج وحده في الانام فأثرتك به مؤثراً للضيعة عالما إن زين الجياد فرسانها، وزين السيوف أقرانها، وزين بزة الملابس، وزين محاسنها فالآن أعطيت القوس باريها، وزناد المكارم موريها، والصمصامة مصلتها والقناة معملها وحلة المجد لابسها .

ما جاء فى وصف القلم

القلم عود من العيدان، ينوب عن اللسان، إذا تباعدت الأوطان، وافترقت الأحباب والخلان، يتخذ من نوع مخصوص، يسمى بالبوص، وقد يتخذ من المعدن ليكون أقوى وأمتن ، أجوده ما كان معتدل القامة متوسط الطول صليب الجسم ، ليس بهش مخيف شقوق إلى النصفين . رأسه ممرق ، وباطنه مجوف ، وهو نصف الفصاحة ، وشطر البلاغة ، تحتاج إليها الملوك والأمراء والشعراء والخطباء والعلماء والحكماء ، لتنشر به أفكارهم وآراءهم وعلومهم وآدابهم ومطالبهم وأغراضهم، وبه سعادة الأمة وحياتها وتقدمها ورقيها ولو اجتمع مع السيف فى يدها نالت عزها ، وأدركت غرضها وخشيت الأمم بأسها مع

أن القلم والسيف لو تسابقا فى ميدان حاز القلم غاية الرهان، وسبق الى الغرض (سبق الجواد اذا استولى على الامد)

بذا قضى الله للأقلام إذ برئت أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقد قيدت به جميع الأخبار، وسائر الكتب والأسفار، وعلمنا بواسطته أخبار الماضين، وتاريخ الغابرين، أعجم لا يعرف اللغات محلها، ويعبر عن الألسنة جميعها، مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، به أقيمت أعلام الهدى، ونشرت رايات السعادة، وكفاه فخراً أن الله أقسم به فى محكم كتابه فقال (ن والقلم وما يسطرون)

كفى قلم الكتابة فخراً ورفعة مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

فهو الذى بلغ من العز منتهاه، ومن الشرف أعلاه، نحمد الله على أن جعلنا من حملته وذويه وقرابه، إنه خير كفيل وهو نعم الوكيل.

فى وصف ذات القلم نفسه

قال العتابى: سألنى الأصمعى فى دار الرشيد أى تأبيب للكتابة أصلح وعليها أصبر؟ فقلت له: ماتشف بالهجير ماؤه. وسفره عن تلويحه قشاؤه من الشبرية. القشور الدرية الظهور، القصبة الكسور قال: فأى نوع من البرى أصوب وأكتب؟ فقلت البرية المسنونة القطة، التى عن يمين سنها برية، يأمن معها الحجة، عند المدة والمطة للهواء فى سفتها فبتق وللريح فى حرقها حريق والمداد فى خرطومها دقيق، قال العتابى: فبقى الأصمعى باهتا إلى ضاحكا لايحير مسألة ولا جوابا.

وأهدى ابن الحرورة إلى رجل من إخوانه من الكتاب أقلاما فكتب اليه: انه لما كانت الكتابة أبقاك الله أعظم الأمور وقوام الخلافة وعمود المملكة خصصتك من آلتها، بما يخف محمله، وتتصل قيمته، ويعظم

نفعه، ويجل خطره، وهى أقلام من القصب النابت، فى الشجر الذى نشف فى حر الهجر ماؤه وستره من تلويحه نماؤه، فهى كاللآلى المكنونة فى الصدف والأنوار المحجوبة فى الدف نبرته القشور درية الظهور قضية الكسور قد كستها الطبيعة جواهر كالوشى المحبر، وفريد الديباج المنير.

(وأهدى) بعض الكتاب الى أخ له أقلام وكتب اليه: إنه أطال الله بقاءك لما كانت الكتابة قوام الخلافة، وقرينة الرياسة، وعمود المملكة، وأعظم الأمور الجليلة قدرا، وأعلاها خطرا، أحببت أن أتحفك من آلاتها بما يخف عليك محمله، وتثقل قيمته، ويكثر نفعه، فبعثت اليك أقلاما من القصب النابت فى الاعذاء المغذو بماء السماء كاللآلى المكنونة فى الصدف والأحجار المحجوبة بالصدف تنبوا عن تأثير الأسنان، ولا يثنيها غمز البنان، قد كستها طباعها جواهر كالوشى الخطير والفرق المنير فهى كما قال الكميت:

ويض رفاق صماخ النون   تسمع للبيض فيها صريرا
مهزه من عتاد الملوك   يكاد سناهن يغشى البصيرا

وكقدح البغل فى ثقل أوزانها، وقضب الخيزران فى اعتدالها، وشبح الخط فى اطرادها تمر فى القراطيين كالبرق اللائح، وتجرى فى الصحف كالماء السائح احسن من القضبان فى نحور القيان

(وكتب) عبيد الله بن طاهر الى إسحاق بن ابراهيم من خراسان الى بغداد يسأله أن يوجه اليه أقلاما قصبية:

أما بعد فأنا على طول الممارسة لهذه الصناعة التى غلبت على الأمم ولزمت لزوم الوسم، فحلت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب، وجدنا الأقلام القصبية أسرع فى الكواغد، وأمر فى الجلود، كما أن البحرية منها أملس فى القراطيس وألين فى المعاطف، ولكل عن تمزيقها والتعلق بما ينبو عن شظاياها. ونحن فى بلاد قليلة القصب، ردىء مما يوجد بهامنه فأحببت أن تقدم باختيار أقلام قصبية وتتأنق فى انتقائها قبلك، وطلبها فى منابتها من شطوط الأنهار وأرجاء

الكروم وأن تيمم باختيارك منها الشديدة المجس ، الصلبة المقص ، الغليظة الشحوم، المكتنزة الجوانب ، الضيقة الأجواف ، الرزينة الوزن فانها أنق فى الكتابة وأبعد من الحفائر ، وأن تقصد بانتقائك منها الرقاق القضبان ، اللطاف المنظر ، المقومات الأود ، الملس العقد ، ولا يكون فيها التواء عوج ولا أمت وضم ، الصافيـــة القشور ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكاد أسافلها تهتز من أعلاها لاستواء أصولها برءوسها ، المستكملة يبسا القائمة على سوقها ، قد تشربت الماء فى لحائها ، وانتهت فى النضج منتهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها وإبان ينعها ، ولم تؤخر فى الأيام المخوفة عاهاتها من حصر الشتاء وعفا الندى . فاذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعا رفيقاً تتحرزمعه أن تنشعب رؤوسها ، وتنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية ، وعليها الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من يحتاط فى حراستها ، وحفظها ، وإيصالها إذ كان مثلها يتوانى فيه ، لقلة خطرها عند من لا يعرف فضل جوهرها . واكتب معه بعدتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها على الاستقصاء ، من غير تأخير ولا إبطاء .

فوجه إليه الأنابيب وأجابه بقوله :

أتانى كتاب الأمير أعزه الله تعالى بما أمرنى به ولخصه من البعث بما شاكل لغة وضاهى صفة من أجناس الأقلام فيممت بغيته قاصـــدا لها وانتهجت معالم سبله آخذا بها ، فأنفذت اليه حزما أنشئت بلطيف السقيا ، وحسن العهد والبغيا ، لم تعجل اخراجها ، ولا بودرت قبل ادراكها ، فهى مستوية الأنابيب معتدلتها ، مثقفة الكعوب مقومتها ، وقد رجوت أن يحبسها الأمير عند إرادته حسب بغيته .

(ومن كلام أبي منصور بن عمار في وصف القلم)
ويقال إنه لسليمان بن الوليد الكاتب

أوليس من عجائب الله فى خلقه وإنعامه على عباده ، وتعليمه إياهم الكتاب المفيد للباقين حكم الماضين ، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة ، بمعان مفرقة مقصورة ، وأحرف مقلوبة من ألف وباء وجيم ودال ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، ونتاجها التأليف ، تخرس منفردة ، وتنطق مزدوجة ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، بل قلم حرف باريه قطته ليعلق المداد به ، وأرهف جانبه ليرد ما انتشر عنه إليه ، وشق رأسه ليحتبس المداد عليه ، ورفع من شفتيه ليجتمع حواشى تصويرها ، فهنالك روى القلم فى شفته ، وقذف المادة إلى صدره ، فاذا علقتها العيون حكتها الألسن فالقلوب حينئذ راعية ، والآذان واعية ، بكلام سداه العقل ، ولحمته اللسان ، وأدته اللهوات ، ولفظته الشفاه ، ووعته الآذان على اختلاف أنحاء من صفات وأسماء ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة فى رسالة المفاخرة بين السيف والقلم مانصه :

برز القلم بأوضاحه ونشط لارتياحه . ورقى من الأنامل على أعواده وقام خطيباً بمحاسنه ، فى حلة مداده ، وانتصب إلى السيف فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

نٓ والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون . الحمد لله الذى علم بالقلم ، وشرفه بالقسم ، وخط به ما قدر وقسم ، وصلى الله على سيدنا محمد

الذى قال : جف القلم بما هو كائن ، وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين وكل مجد بائن ، صلاة واضحة السطور ، فائحة من أدراج الصدور ، مانقلت صحف البحار وغواديها ، وكتبت أقلام النور على مهادف الدياجى حكمة باريها .

أما بعد : فان القلم منار الدين والدنيا ، ونظام الشرف والعليا ، ومجارى سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا ، ومفتاح باب اليمن المجرب إذا أعيا ، وسفير الملك المحجب ، وغديق الملك المرجب ، وزمام أموره السائرة وقادمة أجنحته الطائرة ، ومطلق أرزاق عفاته المتواترة ، وأنملة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة ، رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، التى تهذب الخواطر الخواطل ، فبينه وبين من يفاخر الكتاب والسنة ، وحسبه ماجرى على يده الكريمة من منـــة ، إن نظمت فوائد العلوم فانمـا هو سلكها ، وإن علمت أسرار الكتب فانمـا هو ملكها ، وإن رقمت برود البيان فانما هو جلاها ، وإن تشعبت فنون الحكمة فانما هو أمانها ومآلها ، وإذا انقسمت أمور الممالك فانما هو عصمتها وثمالها ، وإن اجتمعت رعايا الصنائع فانمـا هو إمامها المتلفع بسواده ، وإن زخرت بحار الأفكار فانما هو المستخرج درها من ظلمات مداده ، وان وعد أوفى بصب النفع ، وإن أوعد أخاف كأنما يستمد من النقع . هذا وهو لسان الملوك المخاطب ، والمنفق فى تعمير دولها محصول أنفاسه ، والمتحمل أمورها الشاقة على عينه ورأسه ، والمتيقظ لجهاد أعدائها ، والسيف فى جفنه نائم ، والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم ، والجارى بمـا أمر الله من العدل والاحسان ، فكأنما هو لعين الدهر إنسان ، طالما ذب عن حرمها فشد الله أزره ورفع ذكره ، وقام فى المحاماة عن دينها أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره ، وقاتل على البعد والصوارم فى القرب ، وأوفى من معجزات النبوة نوعا من النصر بالقرب ، وبعث جحافل السطور ، فالقسى دالات ، والرماح ألفات ، واللامات لامات ، والمهمزات كواسر الطير

التى تتبع الجحافل والأترية بمجاجها المحموس من دم الكلى والمفاصل ، فهو صاحب فضيلتى العلم والعمل ، وساحب ذيلى الفخار فى الحرب والسلم ، لايعاديه إلامن سفه نفسه ، ولبس لبسه، وطبع على قلبه ، وفل الجدال من غربه ، وجرح فى وزن المعارضة عن ضربه، وكيف يعادى من إذا كرع فى نفسه قبل إنا اعطيناك الكوثر ، وإذا ذكر شانئه السيف قيل إن شانئك فيما جرى به القلم هو الأبتر ، ثم اكتفى بما ذكره من أدواته ، وجلس على كرسى دواته ، متمثلا بقول القائل :

قلم يفل الجيش وهو عرمرم　　　والبيض ماسلت من الأغماد

وهبت له الآجام حين تشابها　　　كرم السيول وصولة الآساد

ثم ساق الشيخ جمال الدين المذكور مقالة السيف الخ اه .

وقال ابن الوردى على لسان القلم فى مناظرة السيف والقلم مانصه :

فقال القلم : باسم الله مجراها ومرساها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها .

أما بعد حمد الله بارىء القلم ، ومشرفه بالقسم ، وجعله أول ماخلق ، وجمل الورق بغصنه كما جمل الغصن بالورق ، والصلاة على القائل : جفت الأقلام ، فان القلم قصب السباق ، والكاتب بسيفه أقلام من طبقات الكتاب فى السبع الطباق ، جرى بالقضاء والقدر ، وناب عن اللسان فيما نهى وأمر ، طالما أربى على البيض والسمر فى ضرابها وطعانها ، وقاتل فى البعد والصوارم فى القرب ملء أجفانها ، وماذا يشبه القلم فى طاعة بأسه وينبه على أم رأسه .

ـ ثم خطب السيف ـ

(فرد عليه القلم بقوله)

أو من ينشأ فى الحليـــة وهو فى الخصام غير مبين ، يفاخر وهو

القائم عن الشمال وأنا الجالس عن اليمين . أنا المخصوص بالرأى وأنت المخصوص بالصدى . أنا آلة الحياة وأنت آلة الردى . ما لنت إلا بعد دخول السعير ، وما جدوت إلا عن ذنب كبير ، أنت تنفع فى العمر ساعة ، وأنا أفنى العمر فى الطاعة . أنت للرهب ، وأنا للرغب . وإذا كان بصرك حديداً فبصرى ماء ذهب ، أين تقليدك من اجتهادى ، وأين نجاسة دمك من تطهير مدادى . فرد عليه السيف .

ثم رد عليه القلم فقال :

اما أنا فابن ماء السماء ، وأليف الغدير وحليف الهواء . وأما أنت فابن النار والدخان ، وناشر الأعمار ، وخوان الاخوان ، تفصل مالا يفصل ، وتقطع ما أمر الله به أن يوصل . لاجرم جمر السيف وصقل قفاه . وسق ماء حميا فقطع أمعاه ، ياغراب البين ، فى ساعة الحين . ويامقتل إلفين . ويإذا الوجهين كم أفنيت وأعدمت ، وأرملت وأيتمت ؟.

- فرد عليه السيف -

ثم رد عليه القلم متلطفا فى خطابه فقال :

أما الأدب فيؤخذ عنى ، وأما اللطف فيكتسب منى ، فان لنت لنت ، وان أحسنت أحسنت ، نحن فأهل السمع والطاعة ، ولهذا يجمع فى الدواة الواحدة ماجماعة ، وأما أنتم فأهل الحدة والخلاف ، ولهذا لم يجمعوا بين سيفين فى غلاف ،

- فرد عليه السيف -

ثم رد عليه القلم فقال :

صه فصاحب السيف بلا سعادة كالأعزل ، وما زال السيف والقلم فى مناظرة الى أن حكم بينهما الحكم اه ملخصا من جواهر الأدب بغير ذكر مقالات السيف لعدم الشاهد فيه .

وللمولى محمد بن المعروف بصار وكرز أوغلى زاده رسالة فى وصف القلم أولها :

لك الحمد يامن أنطق النون والقلم فأوصافه جلت عن النقص والعدم
وأضحك من ثغر طروسا بصنعه وأبكى بها عين اليراع من السقم
صلاة وتسليم على الروضة التى تعطر من أنفاسها المسك والشمم
لقد أتت الأقلام شوقا بنانه على أيد كتاب من العرب والعجم

وقال فى أثناء التوصيف : ألا وهو من عجائب الآفاق، وغرائب الاتفاق، التى قلما توجد فى بطون الأوراق، وهو شاب حسن ذو بلاغة ولسن، وقدر كامل، ولطف شامل، وكان يشار اليه بالأنامل، صبيح الجبهة، فصيح اللهجة، جميل الخد، محاسنه خارجة عن الحد، اعتلى على منابر الأصابع خطيبا، وأطلق لسانه فى ميادين الطروس أديبا، فكأنه مربى بلبان البيان صغيرا، ونظم عقود المعانى فجنيناها لؤلؤا منثورا، بنى كامل الشيم، ناسخ كتب الأمم، آدم تلقى من ربه كلمات، وهو وليه يخرجه من الظلمات إلى النور، وذو النون التقمه الحوت فمه مفتوح فنبذ بالعراء فهو سقيم، أو أيوب يصبر على الدود وهو يخرج على خدمة باريه مقيم، أو يوسف أرسل مع إخوته يرتع ويلعب وقد ألقى فى غيابة الجب فياله من عجب نحرير ، قادر على التحرير ، وسند كامل التعبير أمشى كسالك مرتاض وأفنى عمره فى خدمة البارى وإلى أمره راض .

وصف القلم لابن الأثير :

القلم : هو اليراع الذى نفثت الفصاحة فى روعه ، وكمنت الشجاعة بين ضلوعه ، فاذا قال أراك كيف تشن الغارة فى الأجياد ، وإذا صال أراك كيف الاختلاف بين الآساد . وله خصائص أخرى يبدعها إبداعا، فاذا لم يأت

بها غيره تصنعاً أنى هو بها صناعا ، فطوراً يرى نحلة يجنى عسلا ، وطورا يرى إماما يلقي درسا ، وطورا يرى ورقاء تصدح بين الأوراق ، وطورا يرى جوادآً مخلقا بخلوق السباق ، وطورا يرى أفعواناً مطرقا ، والعجب أنه لا يزهى إلا عند الاطراق ، وطالما نفث سحرا ، وجلب عطراً ، وأدار فى القرطاس خمراً ، وتصرف فى وجوه المعانى فلا تحظى به دولة إلا تخرت على الدول ، وغنيت به عن الخيل والخول . وقامت أعلى الممالك على الأقلام لا على الأسل ، ولربما لقي هذا القول باعظام النكير . وقالوا : من أين للقصبة الضعيفة هذا الخطر الكبير ؟ وللبهائم عذر أن لا تعرف من ملاذ الأطعمة غير الشعير ، ولو أنصف هؤلاء لعلموا أن القلم هو مزمار المعانى كما أن أخاه فى النسب مزمار الأغانى ، فهذا يأتى بغرائب الحكم ، كما يأتى ذلك بغرائب النغم وكلاهما شىء واحد فى الاطراب غير أن أحدهما يلعب بالأسماع والآخر يلعب بالألباب .

وقال : قلم إذا قذف بشهب بيانه رأيت نجوما ، وإذا ضرب بشباحده رأيت كلوما ، فاذا صور المعانى فى ألفاظها رأيت أرواحا وجسوما ، وقد شرف الله دولته يجلس فى حفلها ، ويخطب عن أهلها ، فهولها فى الحسن طراز وفى الذب عضب جراز ، ولطالما قال فاستخف موقورا وكسى وقارا وأطال فوجدت إطالته لحلاوتها إقصارا ، وادعى الانفراد بهذه المزية فأقرت له الأعداء إقرارا ، وكل هذا فضل بقلمه غير مدفوع ، وشاهد ومرئى لديه وإن غدا قبله وهو مسموع « وفى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل » فأقوال غيره منقلة عن أول لآخر والذى يقوله لم يقل ، بهورب المعانى المخترعة يستخرجها من قلبها ويبرزها من ثوبها القشيب ، وليس خلق الأثواب كقشيبها ، وقد أمسك القلم قوم رضوا من الكتابة بتحسين السطور ، وإذا أتى أحدهم بشىء من السجع فذلك هو الكاتب المشهور ، وهؤلاء قصروا هممهم على الزيف دون اللباب ، ولم يعلموا أن القشر لذوى القشور ، واللب لذوى الألباب ، وقد قيل إن من الأقلام رحمة فى كف رحمة ، وعقابا فى كف عقاب .

ماجاء في وصف القلم نظما

قال فى مطالع البدور فى منازل السرور من إنشاء القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى .

ما أحسب الأقلام جعلت ساجدة إلا لأن طرسها محراب ، ولا أنها سميت خرساء إلا قبل أن نفث سيدنا فى روعها رائع الصواب ، ولا أنها اضطجعت فى دويها إلا ليبعثها من ينفخ فيها من روحه من مرقدها ، ولا سودت رءوسها إلا أنها أعلام عباسية تناولتها الحضرة بيدها . لاجرم أنها تحمى الحمى ، وتسفك دما وتحقن دما ، وتتوشح بها يده غانا . ويرسلها فيعلم الفرسان أن فى الكتاب فرسانا ، وتقوم الخطباء بما كتب تعلم الأسنة أن فى الأيدى كما فى الأفواه لسانا ، ولقد عجبت من هذه الأقلام تجر ألسنتها سنا فتنطق فصيحة ، وتجدع أنوفا بريا ، وما مادتها فى الفصاحة إلا علوية ولولا الغلو لقال علوية .

وقال أبو تمام فى قلم محمد بن عبد الملك الترياد ؛

لك القلم الأعلى الذى بشباته — أصاب من الأمر الكلى والمفاصل

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه — وأرى الجنى أشتات أيد عواسل

له ريقة طل ولكن وقعها — بآثاره في الشرق والغرب وابل

فصيح إذا استنطقته وهو راكب — وأعجم إن خاطبته وهو راجل

إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت — عليه شعاب الفكر وهى حوافل

أطاعته أطراف القنا وتقوضت — لنجواه تقويض الخيام الجحافل

إذا استغزر الذهن الخلى وأقبلت — أعاليه فى القرطاس وهى أسافل

رأيت جليلا شأنه ، وهو مرهف — ضنا ، وسمينا خطبه ، وهو ناحل ،

« ولابن المعتز » فى قلم الوزير « القاسم بن عبد الله » .

قلم ماأراه أم فلك يجـ ... رى بما شاء قاسم ويسير
خاشع فى يديه يلثم قرطا ... سا كما قبل البساط شكور
ولطيف المعنى جليل نحيف ... وكبير الأفعال وهو صغير
كم منايا وكم عطايا وكم حتـ ... ف وعيش تضم تلك السطور
نقشت بالدجى نهارا فما أد ... رى أخط فيهن أم تصوير

وقال أبو الهلال العسكرى :

أنظر إلى قلم ينكس رأسه ... ليضم بين موصل ومفصل
تنظر إلى مخلاب ليث ضيغم ... وغرار مسنون المضارب مفصل
يبدو لناظره بلون أصفر ... ومدامع سود وجسم منحل
فالدرج أبيض مثل خد واضح ... يثنيه أسود مثل طرف أكحل
قسم العطايا والمنايا فى الورى ... فاذا نظرت إليه فاحذر وامل
طعمان شوب حلاوة بمرارة ... كالدهر يخلط شهده بالحنظل
فاذا تصرف فى يديك عنانه ... ألحقت فيه يائسا بمؤمل
ومـــذللا بمعزز ولربما ... ألحقت فيـــه معززا بمذلل

وقال أيضاً :

لنا القلم الجارى يؤس وأنعم ... فنها بواد نرتجى وعوائد
إذا ملأ القرطاس سود سطوره ... فتلك أسود تتقى وأساود
وتلك جنان تجتنى ثمراتها ... ويلقاك من أنفاسهن بوارد
وهن برود مالهن مناســـج ... وهن عقود مالهن معاقـــد
وهن حياة للولى رضية ... وهن حتوف للعدو رواصد

وأنشد البحتري لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

وإذا تألق فى العيون كلامه الـ ... مجدود خلت لسانه من عسه
وإذا دجت أقلامه ثم انتحت ... برقت مصابيح الدجى فى كتبه
باللفظ يقرب فهمه عن بعده ... منا ويبعـــد نيله فى قربه
حكم نصائحها خـــلال بنانه ... منه تود قليبها فى قلبـــه
وكأنها والسمع معقود بها ... شخص الحبيب بدا لعين محبه

وأنشد أحمد بك أبو طاهر فى بعض الكتاب ويصف القلم .

قلم الكتابة فى يمينك آمن ... مما يعود عليك فيما يكتب
قلم به ظفر العدو مقلـــم ... وهو الأمان لما يخاف ويرهب
يبدى السرائر وهو منها محجب ... ولسان حجته بصمت يعرب

وقال بعضهم :

لك القلم المطاوع غير أنا ... وجدنا وسمه غير المطاع
له ذوقان من أرى هنى ... ومن شرى ولى ذى امتناع
عديم اللفظ ينطق عن سواه ... فيسمع وهو ليس بذى استماع
إذا استسق بلاغته استهلت ... عليه سماء فكرك باندفاع

ومن قول صاحب العقد الفريد .

بكفه ساحر البيان إذا ... أداره فى صحيفة سحرا
بلفظه ينطق فى عجمـــة ... يصم عنه ويسمع البصرا
نوادر تقرع القلوب بها ... إن تستبنها وجدتها صورا
نظام وراء الكلام صحته ... سلكا لخط الكتاب مقطرا
إذا امتطى الخنصران أذكر من ... سحبان فيما أطال واختصرا
يخاطب الغائب البعيد بما ... يخاطب الشاهد الذى حضرا

يرى المقادير تستدق له ... وتنفذ الحادثات ما أمرا
جسم ضئيل لفعله خطر ... أعظم به في فعله خطرا
تمج فكاه ريقة صغرت ... وخطبها في القلوب قد كبرا
فقد ترى النفس منه ما حذرت ... وربما جنبت به الحذرا
مهفهف تزدهي به صحف ... كأنما جلبت به دررا
كأنها ترضع العيون بها ... خلال روض مكلل زهرا
ان قربت فرطت طويها ... مانعين طين لها ولا كبرا
يكاد عنوانها لروعته ... ينبيك عن سرها الذي استترا

ومن قوله أيضا في القلم :

يا كاتبا نقشت أنامل كفه ... سحر البيان بلا لسان ينطق
إلا صقيل المتن صلوم القوى ... حدت لهاذمه وشق المفرق
فاذا تكلم رغبة أو رهبة ... في مغرب أصغى اليه المشرق
يدلي بريقة أريه أو شريه ... يبكي ويضحك في سداه المهرق

وقال محمود بن أحمد الأصفهاني :

أخرس ينبيك باطراقه ... عن كل ما شئت من الأمر
يذر على قرطاسه دمعة ... يبدي بها السر وما يدري
كعاشق أصفى هواه وقد ... نمت عليه عبرة تجري
يبصره في كل أحواله ... عريان يكسي الناس أو يعري
يرى أسيرا في دواة وقد ... أطلق أقواما من الأسر
أخرق لو لم تبره لم يكن ... يرشق أقواما وما يبري
كالبحر إذ يجري وكالليل إذ ... يغشى وكالصارم إذ يفري

وقيل فى وصف القلم :

وأخرس ينطق بالمحكمات ... وباطنه صامت أجوف
بمكة ينطق فى خفية ... وبالشام منطقه يعرف

وقال أبو العباس التنوخى :

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لاشىء يقابله ... مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله للأقلام اذ بريت ... إن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال بعضهم فى القلم :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارما ... يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط فى القرطاس منها بدائع ... كمثل اللآلى نظمها ونثيرها

وقال ابن الرومى فى تفضيل القلم على السيف :

لعمرك ما السيف سيف الكمى ... بأخوف من قلم الكاتب
له شاهد إن تأملته ... ظهرت على سره الغائب
أداة المنية فى جانبيه ... فمن مثله رهبة الراهب
سنان المنية فى جانب ... وحد المنية فى جانب
ألم تره فى صده كالسنان ... وفى الرؤف كالمرهف الضارب

وقال الصولى أنشدنى طلحة بن عبيد الله فى القلم :

وإذا أمر على المهارق كفه ... بأنامل يحملن شختا مرهفا
متقاصرا متطاولا ومفصلا ... وموصلا ومشتتا ومؤلفا

ترك العداة رواجفا أحشاؤها — وقلاعها قلعا هنالك رجفا
كالحية الرقشاء إلا أنـــه — يستنزل الأروى اليه تلطفا
يرمى به قلما يمج لعابــه — فيعود سـيفا صارما ومثقفا

وقال أحمد بن جرار فيه :

وعريانا من خلقه مكتس — يميس من الوشى فى يلمق
يحدر من رأسه ريقه — يسيل على ذروة المفرق
فكم من أسـير له مطلق — وكم من طليق له موثق
يقيم ويوطن غرب البلا — د وينهى ويأمر بالمشرق
قليل كثير ضروب الخطو — ب وأخرس مستمع المنطق
يسـير بركب تلال عجال — إذا ماحدا الفكر فى مهرق

ونظر المأمون الى جارية من جواريه تخط خطاً حسناً فقال :

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت — وفى أصبعيها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك — ينال جسيمات المنى وهو أعجف

وقال آخر :

دبت بعلياء الفــلاة بنية — بأسمر مشقوق الخياشيم يرعف
كأن عليه ملبسا خلد حينه — مقيم فما يمضى ولا يتخلف
جليل شؤن الخطب ماكان راكباً — يسير وإن أرجلته فضعف

وقال أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :

وأسمر طاوى الكشح أخرس ناطق — له دملان فى بطون المهارق
إذا استعجلته الكف أمطر وبله — بلا صوت إرعاد ولا ضوء بارق

إذا ماحدا عزو القوافى رأيتها بجالة تمضى أمام السوابق
كأن عليها من دجى الليل حلة إذا مااستهلت مزنة بالصواعق
كأن الليالى والزبرجد نطقه ونور الخزامى فى عيون الحدائق

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى :

فى كفه صارم لانت مضاربه يسوسنا رغبا إن شاء أو رهبا
السيف والرمح خـــدام له أبداً لا يبلغان له حـــداً ولا لعبا
تجرى دماء الأعادى بين أسطره ولاتحس له صوت إذا ضربا
فما رأيت مدادا قبل ذاك دما ولا رأيت حساما قبل ذا قصبا

وقال آخر :

إن هز أقلامه يوما ليعملها أنساك كل كمى هز عاقله
وإن أمر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له

وقال آخر :

فاخرت الأقلام سمر القنا والسعد فى الأقسام مكتوب
فقلت للخـــطى لا كلا كما للخط منســـوب

وقال حماد يصف قلما :

للأيم بعثته وشق لسانه وله إذا لم يجرها أطراق
كالحية الفضفاض إلا أنه من حيث يجرى سمه درياق

وقال آخر :

قوم إذا خافوا عداوة امرىء سفكوا الدما بأسنة الأقلام
ولضربة من كاتب ببنانه أمضى وأنفذ من رقيق حسام

وقال أبو الفرج ابن الدهان :

قوم إذا أخذوا الأقلام من قصب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ما لا ينال بحد المشرفيات

وقال آخر :

عجبت لذى سنين فى الماء نبته له أثر فى كل مصر ومعمر

وقال أبو الطيب الارادى :

قلم قلم أظفار العدى وهو كالأصبع مقصوص الظفر
أشبه الحية حتى انه كلما عمر فى الأيدى قصر

وقال أبو الفتح البستى :

إذا أقسم الأبطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال البحترى :

له يراع سعيد فى تقلبه إن خط خطا أطاعته المقادير

ومن ألطف ماقيل فى القلم :

وذى خضوع راكع ساجد ودمعه من جفنه جارى
مواظب الخمس لأوقاتها منقطع فى خدمة البارى

وقال آخر :

وأشقر يده البيضاء غرته ... له إلى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء يلحظها ... وهدب أجفانها تلك المشاعير

وقال ابن نباته :

يرنو إلى الأفكار غير ملاحظ ... ويخاطب القرطاس غير محابى
ويعلم الآداب أفهام الورى ... وفؤاده صفر من الآداب

ومن قصيدة ابن سيناء الملك :

ولى قلم فى أنملى إن هززته ... فما ضرنى أن لا أهز المهندا
إذا صال فوق الطرس صوت صليله ... فإن صليل المشرفى له صدا

وقال السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على ابن الآدمى :

تمشى اليراعة والمداد وراءها ... ظل على شمس الطروس ينوع
عوض المعانى لو يلوح لمسلم ... هذا المعانى راح وهو صريع
لو لم تكن ألفاظه خطية ... ماراح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت لوجنة طرسه ... فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحى الخطاب لنطقه ... فى المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليما وقد ضاهى العصا ... فغدا يروغ بفعله ويروع
باللفظ حاكته الشموس وبالضيا ... حاكته فى حلل المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور ... والطل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه ... هذا يضىء به وذاك يضوع

وقال أيضاً .

لميناه ذو طرف كحيل إذا بكى	تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشقوق اللسان متى جرى	بثغر الدوى اللعس أبدى اللما عذبا
وأوأنه في سنه سم أرقم	إذا ماثنى فى الرقم من جيده جنبا
فطوراً خطيب والسواد شعاره	إذا ماعلا أعواد كف جلا خطبا
ويحقر فعل الخط بين كتائب	تلاقت إذا ماخط فى يدك الكتبا
حكى السمر قداً حيث للبيض خده	فطاعن به إن شئت واضرب به ضربا

الدواة وماجاء فيها نثراً ونظماً

الدواية ويقال لها الرقيم والنون - وجمع دواة دويات كما يقال قناة ، وقنوات ؛ ويقال دواة ودوى كما يقال قناة ؛ وقنا ؛ ويقال دواة ودوى كما يقال قناة وقنى - ويقال لصوفة الدواة قبل أن تبل بالمداد ، البوهة والموارة فاذا بلت فهى الليقة وجمعها ليق . يقال لقت الدواة فهى مليقة وألقتها فهى ملاقة ، وقد يقال لها ليقة قبل أن تبل بالمداد فتسمى بما تؤول اليه . والمداد يذكر ويؤنث فيقال هو المداد وهى المداد ويقال له نقس بكسر النون ، وأما النقس بفتح النون فمصدر نقست الدواة إذا جعلت فيها نقساً ، والكسر أفصح اه من الاقتصاب فى شرح أدب الكتاب .

قال بعضهم فى وصفها :

الدواة من أنفع الأدوات ، وهى للكتابة عتاد ، وللمخاطر زناد ، وغدير

لا يرده غير الأفهام ، ولا يمنح بغير أرشية الأقلام ، دواة أنيقة الصفة رشيقة مسكية الجلد كافورية الحكاية غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره ، وتساق سحب البلاغة من قراره دواة تداوى مرض عفاتك ، وتداوى لقلوب عداتك على مرفع يؤذن بدوام رفعتك ، وارتفاع النوائب عن ساحتك ، ومداد كسواد العين وسويداء القلوب ، وجناح الغراب ولعاب الليل وألوان دهم الخيل مداد ناسب خافية الغراب ، واستعار لون شرخ الشباب وأقلام جمة المحاسن بعيدة عن المطاعن ، تعاطى الكاسى ، وتمانع النافر القاسى أنابيب ناسبت رماح الخط فى أجناسها وشاكلت الذهب فى ألوانها وضاهت الحديد فى لمعانها ، أقلام كأنها الأميال استواء ، والآجال مضاء ، بطيئة الحفى قوية القوى لا يشظبها القط ، ولا ينشعب بها الخط ، أقلام بحرية ، وشية الليط رائعة التخطيط ، قلم معتدل الكعوب طويل الأنبوب باسق الفروع روى الينبوع ، هو أولى باليد من البنان وأخفى للسر من اللسان هو للأنامل مطية وعلى الكتابة معونة مرضية نعم العدة القلم يقلم أظافير الذهب يملك الأقاليم بالنهى والأمر ، إن أردت كان بجونا لا يحل الاعسار ، وإن شئت كان جواداً جاريا لا يعرف العثار ، لا ينبو إذا نبت الصفاح ، ولا يحجم إذا أحجمت الرماح . قلم يسكت واقفاً وينطق ساكتاً اﻫ .

وقال أبو الفتح كشاجم :

جوهرة خصنى بجوهره ناطت له المكرمات فى عنق
بيضاء والحبر فى قرارتها أسود كالمسك جد متفق
مثل بياض العيون زينه مسود ما أشبهه من الحدق
كأنما خبرها إذا نثرت أقلامنا طلت على الورق
خرساء لكنها تكون لنا عونا على علم أفصح النطق

وقال بعض الكتاب يصف محبرة :

ولقد مضيت إلى المحدث آنفا وإذا بحضرته ظباء رتع

وإذا ظباء لأنس تكتب كل ما يملى وتحفظ ما يقول وتسمع

يتجاذبون الحبر من ملمومة بيضاء تحملها علائق أربع

من خالص البلور غير لونها فكأنها سبج[1] يلوح ويلمع

ان نكسوها لم تسل لمليكها فيما حوته عاجلا لا يطمع

ومتى أمالوها لرشف رضابها أداه فوها وهي لا تتمنع

يمتاحها ماضي الشباب مذلق يجري بميدان الطروس فيسرع

رجلاه رأس عنده لكنه يلقاه برد حفاة ساعة يقطع

وكأنه والحبر يخضب رأسه شيخ لوصل خريدة يتصنع

لم لا الاحظه بعين جلالة وبه الى أعلى الصحائف ترفع

وأهدى أبو الطيب عبد الرحمن بن أحمد بن زيد بن الفرج الكاتب الى صديق له دواة آبنوس محلاة وكتب معها :

لم أر سوداء قبلها ملكت نواظر الخلق والقلوب معا

لا الطول أزرى بها ولا قصر لكن أتت للوصل مجتمعا

فوقك جنح من الظلام بها وبارق بائتلافها لمعا

خـــذها لدر بها تنظمه يروق في الحسن كل من سمعا

وقال بعضهم :

وسوداء مقلتها مثلها وأجفانها من لجين صقيل

إذا أذرفت عبرة خلتها كغالية فوق خد أسيل

(١) السبج بفتحتين : الخرز الأسود اه مختار

وقال آخر يصف محبرة (دواية):

ولجة بحر أجم العباب   باد وأمواجه تزفر
إذا غاص فيه أخو غوصة   سريع السباحة ما يفتر
فأنفس بذلك من غائص   بديع الكلام له جوهر
وأكرم ببحر له لجة   جواهرها حكم تنثر

وقال ابن كريم:

ومسودة الأرجاء قد خضعت حالها   ورويت من قعر لها غير منبط
خميص الحشا يروى على كل مشرب   أمينا على سر الأمير المسلط

وقال بعض الكتاب:

وماروض الجنان وقد زهاه   ندى الأسحار يأرج بالغداة
بأضوع أو بأسطع من نسيم   تؤديه الافاوه من دواة

ومن قول الشيخ شمس الدين بن المزين على لسان الدواة.

ان السعادة حيث كنت مقيمة   والبحر أخبار الندى عنى روى
كم من عليل مقاصد أبرأته   فأنا الدواة حقيقة وأنا الدوا

وكتب الطائى لما بعث إلى الحسن بن وهب بدواة آبنوس:

قد بعثنا إليك أم المنايا   والعطايا زنجية الأحساب
فى حشاها من غير حرب حراب   هى أمضى من مرهفات الحراب

وقال المدائنى:

جود دواتك واجتهد في صونها   إن الدوى خزائن الآداب

ومن اللطائف فى المحبرة قولهم :

حمل الدواة فرمتها   منه مرامة عاشق
قالت إذا ما أنت يا   قلم الديار بلائق

ما جاء فى الحبر والمداد

قال ابن الوردى فيمن انقلب حبر على ثوبه :

انقلب الحبر عـــلى   ثوبك فابشر بالأرب
لخبر كل كاتب   رح إذا هو انقلب

وقال أبو الفتح محمد بن قادوس الدمياطى :

مداده فى الطرس لمـا بدا   قبله الطرس ومن يزهد
كأنمـا قد حل فيه اللما   وذاب فيه الحجر الأسود

وقال أبو زيد :

إذا ما المسك طيب ريح قوم   كفتنى ذاك رائحة المداد
وما شىء بأحسن من ثياب   على حافاتها حمم السواد

وقال بعضهم :

من كان يعجبه أن مس عارضه   مسك يطيب منه الريح والنسما
فان مسكى مداد فوق أنملتى   إذا الأصابع يوما مست القلما

وقال ضياء الدين المناوى يصف حبرا :

وعندى حبر ودت العين لونه سواداً وترضاه الحسان خضابا
غدا سائلا من فرط سقم ورقة وأصبح للسمر الرقاق رضابا
كأنى لما بت أشكو صبابتى إلى الليل بالأشواق رق وذابا

وكتب الشيخ برهان الدين القيراطى صحبة حبر أهداه :

ليراعكم أهديت إنسان النظر وشباب طرس شاب من فرط الكبر
أرسلته عبداً دعوه عنبراً إذ فاح طيب نشره بين البشر
أقلامه أخذته حال كتابة سبحا وألقته على طرس درر
ويود مرسله إلى أبوابكم لو زاد فيه سواد قلب أو بصر
ليل وإن أبدى لنا ألفاظكم فى صبح طرس أبيض قالوا سحر

وقال ابن نباتة وكتبها على مرملة[1] :

عملت لمن جود أقلامه ربيع ومنطقه بارع
إذا طلع الخط رملته فياحبذا الخط والطالع

ومما يلحق بهذا الفصل قول بعضهم :

دخيل فى الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب فى زياد
يشبه ثوبه للمحوفيه إذا أبصرته ثوب الحداد
فدع عنك الكتابة لست منها ولو لطخت ثوبك بالسواد

---

(١) المرملة : هى وعاء مخصوص يوضع فيه رمل نظيف ملوّن يستعمل سابقا لتجفيف الكتابة أما الآن فقد اخترع الورق النشاف المعروف لدينا لهذا الغرض .

ماجاء فى سكين برى القلم نثرا ونظما

قال بعض الكتاب : السكين مسن الأقلام يشحذها إذا كلت، ويصقلها إذا نبت ، ويطلقها إذا وقفت ، ويلدها إذا شعثت، وأحسنها ماعرض صدره وأرهف حده ، ولم يفضل على القبضة نصابه .

وقال صاحب خزانة الأدب الحموى فى السكين مانصه : وينتهى وصول السكين التى قطع المملوك بها أوصال الجفاء ، وأضافها إلى الأدوية لحصل بها البرء والشفاء ، وتالله ماغابت إلا وصلت الأقلام من تعثرها إلى الجفاء وزرقاء كم ظهر للبيض منها ألوان خرساء ، وفى العجائب إنها لسان كل عنوان ماشاهدها موسى إلا سجد فى محراب النصاب وذل بعد أن خضعت له الرءوس والرقاب ، كم أيقظت طرف القلم بعد ماحظر وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب فى المضائق نفعا ، وحكم بحسن صحبتها قطعا ، ماضية العزم قاطعة السن فيها جذوة الشباب من وجهين ، لأنها بالناب والنصاب معلمة الطرفين ، وأنملة صبح دفعت سواد الدجى ، فعوذتها بالضحى والليل إذا سجى ، ولسان برق امت فى ظلمات الليل فتنكرت أشعة الأنجم وما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون إذلم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا الجزر والمد ، من أجل ذا تدخل فى مضايق ليس للسيف فيها قط مدخل وكل مايفعله تزجره والرمح فى مقصده مطول إن هجعت بخفها كانت أمضى من الظرف وكم لها من خاصة حازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسل فلا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها الحل تركت المعادن عاطلة ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادلة شهد الرمح بعدالة أنها أقرب منه إلى الصواب وحكم لها بصحة ذلك قبل أن تشكل النصاب ماطال فى رأس القلم شدة

الا سرحتها باحسان ولا طالت كتابا إلا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لأنها عدة وعدة ، تالله ماوقعت فى قبضة إلا أطال لسانها وتكلمت بحدة ان دخلت إلى القراب كانت قد سبكت على الدخول وأبرزت من خيمة كان على طلعتها قبول تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها لحد الأقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف فى بحر غمده كالغريق ولو سمع بها قبل ضربه ماحمل التطريق فلو عارضها أبو طاهر لعركت من قوسه الأذنين وقال له جحدت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت إلى مقاومتها وكان لك يد تمتد وصات السكين إلى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك إلى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم إلا ماحمات ظهورها أو الحوايا أوما اختلط بعظم ولو لمحها الفاضل لحقق قوله إن خطر سكينه كل أو أدركت ابن بنابة ما أقر برسالة السيف وفل وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك وما قصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة لحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر فقرى وتأتى بما يشفى وايهام التورية يقول ويبرى اه .

وقال أيضا تقى الدين بن حجة الحموى صاحب خزانة الأدب يصف سكينا أهداها له بعض الأصحاب وهو (١) :

سكين قطع المملوك بها أوصال الجفا

وأضافها الى الأدوية فحصل بها البرء والشفاء

وتالله ماغابت إلا وبلغت الأقلام من تغيرها إلى الجفا أنها لسان كل عنوان ، ماشاهدهاموسى إلاوسجد فى محراب النصاب وذل بعد ماخضعت له

(١) هذه المقالة كأنها صورة مختصرة من مقالته السابقة كما يظهر لك .

الرءوس والرقاب إن هجمت بخفتها كانت أمضى من الطيف وكم لها من عاصمة حازت بها على حد السيف تنسى بحلاوة العسال ولا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ، كم مرت بشكلها المتجمل فتركت المعادن عاطله ، ولم يكن للحديد فى هذه الواقعة مجادلة فلو لمحها الفاضل لتحقق أن خاطر سكينه كل أو شاهدها ابن نباتة لما أقر برسالة السيف وفل . إلى أن دخلت إلى القراب كانت قد سبكت على الدخول أو أبرزت من غيمة كان على طلعها الهلالية قبول كم أيقظت طرف القلم بعد ماخط ، وعلى الحقيقة مارأى مثلها قط ماأسفر صبح نصلها فى ليل نصابها الذى دجى ، إلا تغزلت وقلت ما أحسن طرة الصبح من تحت أذيال الدجى ، تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس ، وباقامتها الحد حافظت الأقلام على مواظبة الخمس ، وكم لها من عجائب تركت جدول السيف فى بحر غمده غريق ، ولو سمع بها من قبل ضربه لما حمد التطريق ، لازالت صدقات مهديها تحف بما يذع نحر فقرى وتأتى فى كل حين بما يشفى من داء الفقر ، ويبرىء بمنه وكرمه .

وقال أبو الفتح كشاجم يرثى مدية أقلامه إذ سرقت منه :

ياقاتل الله كتاب الدواوين	مايستحلون من أخذ السكاكين
لقد دهانى لطيف منهم ختل	فى ذات حد كحد السيف مسنون
فأقفرت بعد عمران بموقفها	منها دواة فتى بالكتب مفتون
تبكى على مدية أودى الزمان بها	كانت على جائر الأقلام تعزينى
كانت تقوم أقلامى وتنحتها	نحتا وتشحطها بريا فترضينى

وأضحك الطرس والقرطاس عن حلل

يئوب للعين عن نور البساتين

فان قشرت بها سوداء من صحف	عادت كبعض خدود الخرد العين

جذع النصاب لطيفات شعائرها ... محسنات بأصناف التحاسين
هيفاء مرهفة بيضاء مذهبة ... قال الآله لها سبحانه كونى
لكن مقطى أمسى شانئنا جذلا ... وكان فى ذلة منها وفى هون
تصون حتى يضاهى فى صيانته ... جاهى لصونته عمن يدانينى
ولست عنها بسال ماحييت ولا ... بواجد عوضاً منها يسلينى
ولو يريد فداء ماجعت به ... منها فديناه بالدنيا وبالدين

وقال بعضهم :

أنا إن شئت عدة لعدو ... حين يخشى على النفوس الحمام
أنا فى السلم خادم لدواة ... وبحدى تقوم الأقلام

ماجاء من الالغاز فى بعض ادوات الكتابة

لغز فى الورق .

وشىء بلا جرم يصلب تارة ... ويقطع حينا فى حضور وأسفار
ومن قدم قد بيض الله وجهه ... على أنه ماانفك يوما عن القار(١)

لغز فى الدواة .

ململة الجبين موردة الدم ... ومحمرة الأذنين مفتوحة الفم
لها صنم كالديك ينقر جوفها ... تساوى إذا قومتها نصف درهم

---

(١) القار ويقال له القير : هو الزفت الأسود أى لاينفك القلم بعد بريه عن الحبر الأسود الذى هو كالقار ، ويذكرون الحبر الأسود غالبا لكثرة استعماله وإلا فقد يكتب الانسان بالأحمر والأخضر وغيرهما .

وكتب الشيخ بدر الدين الدماميني لغزاً فى دواة وجهزه إلى المرحوم أمين الدين صاحب ديوان الانشاء بالشام وهو هذا :

كتبت وأعـــذارى إليك تقرر ... ونظمى بها يا كاتب السر يجهـــر
أتتك بأبيات المعانى فرضـــتها ... وحكت حبير اللفظ وهو محـــرر
وحليت أهل العصر إذ كنت خاتما ... لهم فعليك الآن يعقد خنصر
وما أنت إلا البحر جاش عبابه ... ولكن رأينا منك علما يحبر
فما كلمة أفديك دام اعتلالها ... وفيها دواء ان عراها تغـــير
ويحفظها ذو السر وهى التى وشت ... وذلك من عادتها ليس ينكر
وما مسها إلا وجادت بنفسها ... وصحف ترى المقصود بالنقس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها ... على الرأس عباسية حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها ... ويحسن مرآها إذا ما تحـــبر
مؤنثة قد ذكرتنا بلونها ... عهود الصبا والشىء بالشىء يذكر
وكم قد أرانا ريقها من مسلسل ... يلذبه فى الذوق ورد ومصـــدر
وكم لاقت الأحبار منها محاسنا ... فعادت لها الجهال بالعى تحصر
مسودة ان ترض فالعيش أخضر ... وان غضبت فالموت لاشك أحمر
ويعذب للسمر الرقاق رضابها ... فتنهل منها موردا لايكدر
لقد أحكمت والنسخ مازال دأبها ... بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وما هى إلا ذات متربة غـــدت ... وكم ذى غنى عن قصدها ليس يفتر
ولســنا نراها غير سائلة ولم ... تفه بسؤال فاعترانا التحـــير
فانعم بحـــل اللغز ياخير منعم ... فأنت به والله أجدى وأجـــدر
فلا زالت الأقلام تسعى لشكركم ... على رأسها طول المدى لاتقصر

فكتب إليه أمين الدين جوابه بعد أيام فقال :

مواقع أقلام لها الفضل ينشر وروضة آداب بها القلب يجبر
تحرر معنى حسنه نسج وحده فياحبذا الأسكندرى المحرر
تشق على الأفهام شقة شأوها فكم من بليغ عن مداها يقصر
أتت سهلة الألفاظ ممنوعة الذرا حماها من العلياء لايتسور
تشير إلى الحبلى التى عز وضعها فأحشاؤها فيها الأجنة تقبر
يناموں لاتغشاهم سنة الكرى فان هب فردظل يسعى ويحضر
وان أرشفته من زلال رضا بها تهادى بها نشوان يمشى ويعثر
وأما إذا اعتموا السواد فكلهم خطيب له فوق الأنامل منبر
وينطق عن علم وطول نباهة وعما رآه فى المنام يعبر
تطاول سمر الخط أنى تشامخت سموا ومع هذا على الطول تقصر
وكل بنى الآداب تلفى بيوتهم تقام بها بين الأنام وتعمر
فأكرم بما قد ولدته وأنشأت وربت ويكفيها بذلك مفخر
تحية وجهى أن جلست ووجهها تجاهى وجاهى عندها ليس يحقر
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت وأنى استقالت فهى فى ذاك تعذر
فلا زلتم أهل الجمال وخيركم لدى النقص مثلى فهو حظ موفر
بمدحكم الأقلام يضحك سنها بحق وأفواه الدواة تقطر

لغز فى القلم :

فلا هو يمشى لا ولا هو مقعد وما ان له رأس ولا كف لامس
ولا هو حى لا ولا هو ميت ولكنه شخص يرى فى المجالس
يزيد على سم الأفاعى لعابه يدب دبيبا فى الدجى والحنادس

يفرق أوصالا لصمت بجنبه ... وتعزى به الأوداج تحت القلانس
إذا ما رأته العـــين تحقر شأنه ... وهيهات تبدو النفس عند الكرادس

وقال بعضهم :

وأرقش مرهوف الشباة مهفهف ... يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقا ومغربا ... وتعنو له ملاكها وتطيع
حمى الملك مفطوما كما كان تحتمى ... به الأسد فى الآجام وهو رضيع

وقال بعضهم :

وساكن رمس طعمه عند رأسه ... إذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم ويمشى صامتا متكلما ... ويرجع فى القبر الذى منه قوما
وليس بحى يستحق كرامة ... وليس بميت يستحق الترحما

وقال ابن أبى البغل الكاتب فى القلم :

أصم عن المنادى لايجيب ... به تخبو وتشتعل الخطوب
ضئيل الجسم أعلم ليس تخفى ... عليه غيوب ما تخفى القلوب[1]
تراه راجلا لاروح فيـه ... ويحييـه وينطقـه الركوب
يبين لسانه ماكن سودا ... معارفه ويخرسه المشيب
يقسم فى الورى بؤسى ونعمى ... ويحكم والقضاء له مجيب
عجبت لسطوة فيه وضعف ... وكل أموره عجب عجيب

---

(١) قوله أعلم أى مشقوق الشفة .

وقال آخر :

ضئيل الرواء كبير العناء   من البحر فى المنصب الأخفر
عليـه كهيئة مر الشجا   ع فى دعص مختبـه أعفر
إذا رأسـه صح لم ينبعث   وجاء السـبيل ولم يبصر
وإن مدية صدعت رأسـه   جرى جرى صائب لم يقصر
جرى بكف فتى كفـه   يسوق الثراء إلى المقـتر

وقيل فيه :

سـألتك ماواش يراد حديثه
ويهوى الغريب النازح الدارافصاحه
تراه مدى الأيام أصفر ناحل   كمثل عليل وهو قد لازم الراحه

وقيل فيه :

وطائر فى وكره نائم   يطير فى الأرض بأسراره
حياته فى قطع أوداجه   وعيشه فى قط منقاره
يكرع من مستنقع القاركى   يأخذ بالمنقار من قاره
شبه الحبر بالقار وهو الزفت بجامع السواد فى كل منهما

وقال فيه جمال الدين بن نباتة :

مولاى ماسم ناحل دنف   وما به علة ولا سقم
لسان قوم فان حذفت وإن   صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال فيه الحريرى فى مقاماته المشهورة :

ومأموم[1] به عرف الامام[2] كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوى طيشان صاد[3] ويسكن حين يعروه الأوام[4]
ويذرى حين يستسقى دموعا[5] يرقن كما يروق الابتسام[6]

وكتب الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد الشاهد سؤالا للشيخ عبد الرحمن المرشدى ملغزا فى القلم، وهو :

وجيه الدين يارأس الموالى	وقرة عين أرباب المعالى
ومن ببديع منطقه يرينا	بيانا للمعالى فى الأمالى
ومن من نثره زهر الليالى	ومن من نظمه عقد اللآلى
ومن ألفاته فاقت غصونا	ومن نوناته شبه الهلالى
فهذى أطلعت أدبا نثيرا	وتلك سمت علوا عن مثال
إليك لغزت فى شىء براه	البرايا وهو صنعة ذى الجلال
ويحدث راكعا فيتم فرضا	ولا تقضى ويقدم وهو تال
ومن أهل اليمين على بساط	السجود ولا يميل إلى الشمال
وخالى الجوف ذا وضع ثلا	ثى له التصريف فى ملأ ومال

(١) أى مشجوج من الآمة وهى الشجة .

(٢) أراد به الكتابة .

(٣) الصادى : هو العطشان وهو يطيش بطلب الماء أى يجول فى طلبه بخلاف القلم فانه يطيش حين يرتوى من المداد بجولانه فى الكتابة بيد الكاتب .

(٤) أى يعتريه ويصيبه العطش أى أنه حين يجف من المداد يترك الكتابة ويسكن .

(٥) كناية عن طلب الكتابة منه .

(٦) أى يعجبن : أى أن دموعه ليست محزنة بل انها تعجب ، فانها تقضى الحاجة اهـ من هامش المقامات .

بجود واسع الأحرار حتى ... غدا كالعبد فى أيدى الموالى
ولا يختار من مولاه عتقا ... سوى فضل الكتابة بابتهالى
خطيب فى البلاغة لايدانى ... كتوم السر ثبات المقالى
كما اختلس المحيا من ضمير ... قسيم القطع فى قطع الوصال
وإن حققت فهو أمين سر ... رشيد وهو هاد من ضلال
يقرى زاهدا لكن رأينا ... ملابسه من القضب العوالى
أفدنا عنه أوصافا حسانا ... تناديه المجالس فى المحال
وواسطه غدا هو عن ضمير ... فاظهر ماأريد من المنال
جعلت لسانه عنى اليكم ... رسولا شارحا فى الرق حالى
لأنشر من مطاوى الفضل عنكم ... بملتمس الأجابه عن سؤالى

الى آخر خطابه .

فأجابه الشيخ عبد الرحمن بقوله :

سطور فى طروس كاللآلى ... أم الأيام نيطت بالليالى

إلى أن قال

وتبدى فى الخطاب جواب لغز ... به ألغزت ياعين الأهالى
فقد سرحت طرف الطرف فيه ... ورضت أبيه الصعب المنالى
فألفى الفكر أوله محيطاً ... وثانيه يشير إلى الليالى
وثم بثالث ميقات موسى ... فكم تصيفه أعيا المعالى
قصير كأن جدع الأنف منه ... لأمر ما ففاق على الطوال
لفيف وهو مفروق تراه ... وأجوف سالما من ذى اعتلال
صحيح ان تكسره تجده ... يزد كما وكيف به تعالى
خطيب والسواد له شعار ... الى العباس يعزى أم لا ال

يرى من قبل باريه وهذا | وأيم الله من قسم المحال
وكم عندى له وصف بديع | ومعنى لم أضمنه مقالى
لكونى بالأهم غدوت مغرى | وعن فن المداعبة اشتغالى
ولولا خشية العزوى لعجز | لما أخطرته حينا ببالى
فدونك نبذة فيها اكتفاء | لمن رام الجواب عن السؤال
وتأخير الجواب لعذر بأس | أصاب جوانحى فأساء حالى
فكن لى عاذراً فالعذر باد | ومقبول لدى أهل المعالى
وصلى الله ماخطت سطور | بأقلام البلاغة فى مجال
على طه ختام الرسل طراً | وأهليه الكرام أولى الجلال

ماجاء فى ضيق رزق بعض الكتاب

قال أبو الفتح كشاجم :

غبط الناس بالكتابة قوما | حرموا حظهم بحسن الكتابه
وإذا أخطأ الكتابة حظ | سقطت تاؤه فصارت كآبه

وقال آخر :

وما الخط الا الحظ صحف لفظه | فأن تك ذا حظ فانك ذو خط
فبالخط بين الناس أنك مخطئ | وبالحظ صوب رأى من شئت أو خطى

وقال آخر .

اذا كان لى خط كخط ابن مقلة | وما كان لى حظ فما الخط نافعى

وقال آخر :

الخـــط ليس بنافع   إن لم يكن خطاً مصحف [1]

وقال الأديب أحمد بن أحمد المكنى بأبى العنايات

يصف خطه وحظه :

زاد خطى وقل حظى فمن لى   نقل لفظ من فوق خاء لطاء
وبشعرى الغالى ترخص سعرى   وبطب الفنون مت بدائى

وقال بعضهم :

لاتحسبوا أن حسن الخط يسعدنى   ولا سماحة كف الحاتم الطائى
وإنما أنا محتاج لواحـــدة   لنقل نقطة حرف الخاء للطاء

وقال آخر :

بلاغة حسان وخط ابن مقلة   وحكمة لقمان وعفـــة مريم
إذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس   ونودى عليه لايباع بدرهم

وقال آخر :

أف لرزق الكتبـــه   أف له ما أصعبـــه
يرتشـــف الرزق به   من شـــق تلك القصبه
ياقلما يرفع فى الطر   س لوجهى ذنبـــه
ما أعرف المسكين إلا   كاتباً ذا متربـــه

(أى حظ)

وقال الشريف أبو يعلى الهبارية من قصيدته المخمسة التي أولها :

« حي على خير العمل » يذم الوراقه

تبا لرب المحبره يا ويله ما أدبره
وعيشه ما أكدره ورزقه ما أقتره

إن لم تصدقني فسل

وقال أحمد بن عبد الله بن حبيب المعروف بأبي حفان :

سألت وراقا عن حاله فقال : عيشي أضيق من محبرة ، وجسمي أرق من مسطرة ، وجاهي أوهى من الزجاج ، وحظي أشد سواداً من العفص إذا خلط بالزاج ، وسوء حالي ألزم لي من الصمغ ، وطعامي أمر من الصبر ، وشرابي أكدر من الحبر ، والهم والغم يجريان في علقة قلبي جري المداد في شق القلم .

وقيل : ما أضيق عيش الكاتب يخرج رزقه من شق القلم

وقال الصولي أنشدني محمد بن أحمد بن اسحق :

أدمى البكا جفني والمآق فقلت ذا هم وذا احتراق
مالي أرى في الأرض والآفاق أذنى ولا أشقى من الوراق
إذا دنا في القمص الأخلاق رأيته مطيرة العشاق
يفرح بالأقلام والأوراق كفرحة الجندي بالأرزاق

وقال القاضي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف :

أرى الكتاب كلهم جميعا بأرزاق تبلغهم سنينا
ومالي بينهم رزق كأني خلقت من الكرام الكاتبينا

ونحن الكاتبون وإن أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

ونذكر استطرادا هذه الأبيات وبها تتم هذه الرسالة

وما من كاتب الا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك فى القيامة أن تراه

وقيل :

كتبت وقد أيقنت وقت كتابتى بأن يدى تفنى ويبقى كتابها
فان كتبت خيراً ستجزى بمثلها وإن كتبت شراً ستلقى حسابها

وقيل :

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

وقيل :

يلوح الخط فى القرطاس دهراً وكاتبه رميم فى التراب

وقيل :

وارغب لكفك أن تخط بنانها خيرا تخلفه بدار غرور
فجميع فعل المرء يلقاه غداً عند التقاء كتابه المنشور

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

نظراً لسقم النسخة الخطية التى جرى الطبع عليها حصل خطأ مطبعى نثبته مع صوابه فيما يلى :

صحيفة	سطر	خطـــأ	صـــــواب
٣	٣	كان المتقدمون به	كان المتقدمون يعتنون به
٤	٥	مغنى الغنى	مغنى الفتى
٦	١٠	حدوده	حدوره
٦	١٣	التشبه	النسبة
٦	١٩	أما أنت خطك	أما خطك أنت
٧	٣	نقطها	مقطها
٧	٢٢	لحسدها	يحسدها
٧	٢٣	الصواد	الصوادى
٨	١	جبن	جنى
٨	٥	جميلة	خميلة
٨	١٣	بالضوافى فى النعم	بالضوافى من النعم
٨	١٤	أمن من النقم	أمن النقم
٨	١٥	وماجلة	وماحلية
٨	١٧	والكل	والطل
٨	١٨	صحيفة	صحيفة
٩	٩	يتبع	بلغ
١٠	٨	ذوى	دوى
١٠	١٠	شفوف	شنوف
١٠	١٣	والاخوان	والأخوات
١٠	١٤	لم يعلمها	لم يعلها

صحيفة	سطر	خطـأ	صـواب
١٠	١٥	تنخب	تذتخب
١٠	١٨	العضب	الغضب
١١	٢	والمزير والمذير	والمزبر والمذبر
١١	٣	لباطة	لباطنه
١١	٤	ولظاهرة اللئط	ولظاهره اللبط
١١	٥	والقيع	والقيسع
١١	٧	قطته	قططته
١١	٩	يحقن	يحفى
١١	١١	ويلتقط	ويلفظ
١١	١٣	يمر لؤلؤه الحكم	بحر لؤلؤه الحكمة
١٢	٣	متغيره	متفقين
١٢	٧	احزم	اضرم
١٢	١٧	قط ليعلق الدواية	قطته ليعلق المداد به
١٢	٢٠	وتشهيه للهوات	ونهسته اللهوات
١٢	٢٠	وقطعه	وقطعته
١٢	٢٠	ولفظه	ولفظته
١٢	٢٠	ودق	ووعته
١٢	٢٣	من فضل	من فضله
١٣	٥	حواش تصويره	حواشى تصويره اليه
١٣	٥	برشقه	برشفه
١٣	٧	فاذا أكلتها	فاذ لا كتبها

وفى صحيفة ١١ بعد البيت الشعر حذف من الأصـــل سهواً هذه الجملة وهى: (اه من الاقتضاب لابن البطليوسى)

صحيفة	سطر	خطــأ	صــواب
١٣	١٢	وعماد اللام	وعماد السلام
١٣	٢٤	وسفته	وسقته
١٤	١	واطمأنه	واظمأنه
١٤	٤و٥	فتات الجار	وقناة الجمار
١٤	٧	راتب	رايت
١٤	٩	الملابس وزين	الملابس لابسها وزين
١٤	١١	وجلة المجد	وحلة المجد
١٤	١٦	رأسه بمرق	رأسه محرف
١٥	٣	برئت	بريت
١٥	٥	أعجم لايعرف اللغات محلها.	أعجم يعرف اللغات كلها
١٥	١١	وقرابه	وقرابته
١٥	١٣	تأبيب	الأنابيب
١٥	١٤	وسفره	وستره
١٥	١٧	معها الحجة	معها المجة
١٥	١٧	سفتها	شقتها
١٥	٢٢	وتتصل	وتثقل
١٦	٣	قضبة	قصبة
١٦	١٢	صماخ النون	صحاح المتون
١٦	١٥	فى القراطيتين	فى القراطيس
١٦	٢٢	ولكل	واكل
٢٠	١٥	والصلاة على	والصلاة والسلام على
٢٤	١٣	التزياد	الزيات
٢٦	٢٠	وراء	درر

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٦	٢٠	مقطرا	مستطرا
٢٧	١١	لهاذمه	لهازمه
٢٨	١٦	ألم تره فى صده	ألم تر فى صدره
٢٨	١٦	وفى الرؤف	وفى الردف
٢٨	١٧	وقال الصوبى	وقال الصولى
٣١	٦	الارادى	الازدى
٣٢	١٧	وغدا كليما	وغدا كليميا
٤٨	١٢	عيد الرحمن	عبد الرحمن

تم طبع كتاب (حسن الدعابه فيما ورد فى الخط وأدوات الكتابه) للأستاذ محمد طاهر الكردى المكى الخطاط مصححاً بمعرفتى

رئيس التصحيح
أحمد سعد على
من علماء الأزهر الشريف

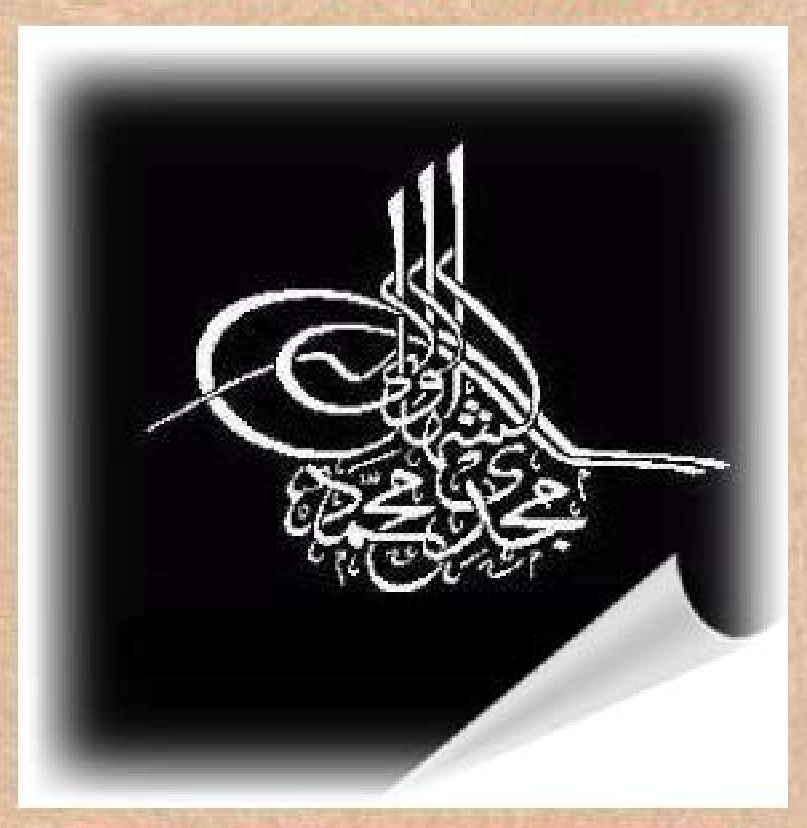
(القاهرة فى يوم الثلاثاء ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ هـ / ٢٤ مايو سنة ١٩٣٨ م).

ملاحظ المطبعة
محمد امين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبى

بحمد الله تعالى وعونه

قام بتصوير الكتاب





Magshahawey@Hotmail.com